تفسیر الم غلبت الروم - هوالأبهی - سبحانک اللّهمّ یا...

حضرت عبدالبهاء

اصلی فارسی

۴

تفسیر الم غلبت الروم

هوالأبهی

سبحانک اللّهمّ یا الهی قد نزلت من سماء عزّ أحدیّتک میاه الوجود بجودک و رحمانیّتک و أمطرت من سحاب سماء عزّ فردانیّتک أمطار فیوضات صمدانیّتک حتّی سالت بهذه الموهبة العظمی انهار فیضک الاعظم فی أراضی لحقائق الممکنة المکونّة بانشائک و سقیت بهذه الانهار الجاریة الملکوتیّة کلّ الاراضی و البلاد و أرویت بهذه الغیوث الهاطلة اللاهوتیّة کلّ التلال و الدیار و أشرقت علیهم بشمس رحمانیّتک من أفق قدس کبریائیّتک و زرعت یا الهی فی أراضی القابلیّات حبوب کلماتک العلیا و آیاتک العظمی بلطفک و رأفتک الکبری.

و لکن بما کانت تلک الحقائق الموجودة المتقابلة المتجلّیة بشمس اسمک الاعظم مختلفة متفاوتة بعضها یا الهی کما أحصیت بعلمک المکنون أفئدة صافیة لطیفة انطبعت فیها آیاتها و ظهرت منها شؤون آثار مجلّیها و اهتزّت و ربّت أرضها و نبتت منها ریاحین حبّک و معرفتک و تزیّنت بازهار قدس جذبک و شوقک کارض طیّبة مبارکة. و بعضها یا الهی لمّا کانت أفئدة متکدّرة محجوبة بصدأ الاوهام و محتجبة عن ربّها بحجب الظلام لم یظهر فیها آثار مجلّیها و آیات بارئها و مقدّرها و فسدت فی أرضها حبوب ذکر ربّها کارض خبیثة جرزة.

و لكن يا محبوبى ما فرّطت عند تجلّيک على الممكنات و ظهور آثارک فى حقائق الموجودات كما قلت و قولک الحق "ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت و ما خلقكم و لا بعثكم الّا كنفس واحدة"

حينئذ أسألک باسمک الّذى لو ألقى على الجبال لاندكّت و سيرّت و لو ألقى على البحور لسجّرت و لو ألقى على الاغصان اليابسة لاخضرت و اثمرت و على العمى لأبصرت و على البكم لنطقت و على الصمّ لسمعت و على الاموات لقامت بان ترفع الحجاب الّذى حال بينک و بين خلقک و منعهم عن الورود على معين رحمانيّتک و عن السلوک فى سبيل عزّ توحيدک و عن الاستماع من ألحان طيور عرشک و الشرب من كأوس حبّک و عرفانک لأنّهم اذلّاء ببابک و فقراء عند ظهور غنائک لا يملكون لانفسهم نفعاً و لا ضراً و لا حيوة و لا نشوراً

ثمّ ارفع يا الهى تلک الافئدة الصافية اليک و عرّجهم بجناح التوحيد فى هواء بهاء عماء تفريدک و تجلّ عليهم فى كلّ آن بما تتلطّف هذه الحقائق الموحدة و هذه القلوب المقدّسة لأنّه لم يكن لآياتک من بداية و لا نهاية و لا لشؤونک من أوّل و لا آخر.

لو تتجلّى على المخلصين من بريّتک فى كلّ آن بكلّ الشؤون الّتى لم يحصها أحد الّا أنت لا ينقص شىء من خزائنک القديمة و لا يقلّ شىء من كنوزک المكنونة فارحم يا الهى عبادک المفتقرين ثمّ اسكنهم فى ظلال شجرة رحمانيّتک و ارزقهم من المائدة الّتى نزلت من سماء عزّ فردانيّتک لانّک أنت المعطى بالحقّ و انّک أنت الغفور الرحيم

و أنت تعلم يا الهى بانّ هذا العبد أفقر عبادک فى ملككک و أذلّ بريّتک فى بلادک فكيف بهذا الفقر الاعظم أقتدر ان أتفوّه بالمعانى المندرجة المندمجة فى حقائق كلماتک و الاسرار الّتى حجّبتها عن أعين العارفين خلف سرادق آياتک. و لكن لمّا أمرتنى بهذا لذا أخذت القلم متوكّلاً عليک و متّكأ بفضلک و رحمتک فانّک يا الهى ان أردت لاجريت من القلم الفانى بحور معرفتک و طمطام أسرارک و ان لم تشأ يخرس لسان القلم الأعلى بين ملأ الانشاء و ينقطع منه فيضان آثار القدم بين الأمم. الامر بيدک تفعل ما تشاء و تحكم ما تريد وحدک لا اله الّا أنت المقتدر العزيز الكريم

يا ايّها السائل البارع الصادع فاعلم بانّ فى كلّ كلمة من كلمات الله تتموّج بحور أسرار لا نهاية لها و انّ كلّ حرف من آيات ربّک لمشرق شموس رموز و آثار و حقائق لا يحصيها أحد الّا الله ربّک و ربّ أبائک الأوّلين مع ذلک كيف يستطيع المداد أن يجرى بهذه الاسرار ولو كان بحوراً و كيف يكفيها الاوراق ولو كانت صفحات الآفاق. ليس لهذه الموهبة الكبرى من نهاية و لهذه الرحمة العظمى من بداية حتّى تنفد كما قال و قوله الحقّ "لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربّى ولوجئنا بمثله مددا"

و لكن ما لا يذكر كلّه لا يترک کلّه لذا اذکر بعض المعانی الغیبیّة السارية الجارية فی مجاری کلمات ربّک العلی العظیم فاعلم بانّ لهذه الآية القدسيّة و الرنّة اللاهوتيّة لمعان فی الظاهر و الباطن و باطن الباطن الی ما لا نهاية له لانّ کلمات الله مرايا محيطة علی صور کلّ شیء لذا قال "و لا رطب و لا يابس الّا فی کتاب مبين"

فامّا الظاهر أخبر الله بزهاق کلمة الفرس و غلبها و نصرة الروم و ظفرها بعد ما غلبت الروم و اضمحلت تحت أيادی الفرس و شتّت شملهم و فرق جمعهم. و تفصيل هذا انّ فی ايّام أشرقت شمس الأحديّة من النقطة المحمّدية و رفعت أعلام الهدی علی أعلام يثرب و البطحاء و غنّت الورقاء علی أفنان سدرة المنتهی و تشهق الطاوس فی جنّة المأوی قال المشرکون انّ کسری ملک الفرس الّذی لم يکن من أهل الکتاب غلب و ظفر علی عظيم الروم الّذی هو من أهل الکتاب فبمثل هذا نحن نزهق کلمة محمّد رسول الله لکونه من أهل الکتاب کعظيم الروم و نحن من غير أهل الکتاب کملک الفرس.

فانزل الله هذه الاية اللاهوتيّة و أخبر بانّ الروم سيغلبون اعدائهم الفرس فی بضع سنين و البضع من الثلاثة الی التسعة. فبعد سبع من السنين أظهر الله سرّ ما أخبر به حبيبه الاعظم و انتصر الروم علی الفرس و علت کلمتهم فبذلک أيقن المخلصون بانّ علم ربّک سبق کلّ شیء و أحاط من فی الوجود من الغيب و الشهود

هذا ما غنّت به طيور أفئدة المفسّرين فی حدائق القرآن العظيم و من غير هذا لم يبلغوا الی الاسرار المودعة فيه و الرموز المکنونة المخزونة السارية الجارية فی مجاری کلمات ربّک العليم الحکيم .و بهذا لم يقنع الظامئ العطشان الی کوثر الروح من أيادی الفضل و الاحسان و لم يکن بشیء عند الّذين جعل الله بصرهم حديدا و عرّفهم معانی کلماته و علّمهم تأويل آياته.

لذا ينبغی ان أذکر بعض ما أراد الله فی هذه الآية الغيبيّة و الرنّة الملکوتيّة و النغمة اللاهوتيّة و أقول انّ الروم هو الشؤون الّتی ترجع و تنتسب الی الحقائق الکونيّة و صرف الانية و الحجب الساترة و الظلمات الصادرة عن تعيّنات الوجود و تشخّصات الموجود. و هذه تغلب و تضمحل عند شروق الاشعّة الساطعة عن شمس الحقّ فلمّا انتهی کور الروح خبت مصابيح الهدی و رکدت نسائم التقی و انقطعت أرياح الوفاء و کلّت ألسن بلابل الأحديّة فی حديقة الولاء و تبدّلت الجنّة الغنّاء و الروضة الغلباء بالفلاة الجدباء و صاح البوم فی أغصان شجرة الزقّوم

اذا هبّت نسائم ربيع ربّک الرحمن من الوادی الايمن البقعة المبارکة و طلعت شمس الأحدية عن مطلع ارادة ربّک الرحمن الرحيم و ارتفعت سحاب الفضل و فاضت علی الافئدة و القلوب و الحقائق و النفوس و اخضرّت أراضی القابليات و لانيّات و أنبتت أرض المعرفة و نبتت الشجرة المبارکة التی منها سمع النداء بان "يا موسی انّک

بالوادی المقدس طوی" و ظهرت نار الحقیقة فی تلک الزیتونة الّتی لا شرقیّة و لا غربیّة یکاد زیتها یضیء ولو لم تمسسه نار نور علی نور یهدی الله لنوره من یشاء

اذا غنّ عندلیب المعانی علی الافنان بفنون الالحان و قال "غلبت الروم فی أدنی الأرض" فأی أرض أدنی من حقائق الاشیاء و تعیّناتهم. ثمّ أخبر لسان القدم و الکلمة الاعظم بانّ الملک الحیّ القیّوم قدرّ لکلّ أمر أجلاً محتوماً. فسوف فی انتهاء هذا الدور یأتی ایّام تغرب هذه الشمس الساطعة فی خلف سحاب متراکمة و ینتهی هذا الربیع الروحانی الی الخریف الظلمانی و تتبدّل هذه الجنّة العالیة و تنقعر أشجارها و تتناثر أوراقها و تسکن أریاحها و تنقطع أنهارها و یبید صفاؤها و هذه من سنّة الله و لن تجد لسنّته تبدیلاً و لا تحویلاً.

اذاً یا ایّها السائل فانظر بالبصر الّذی خلق الله خلف بصرک الظاهر هل یقتدر المنصف ان یقول انّ معانی کلمات الله التامّات موجودة عند هؤلاء الّذین لا یمیزون یمینهم عن شمالهم. لا فو الّذی انطق الورقاء بذکره بین الأرض و السماء بل یتیقّن بانّ المعانی ملهمة فی أفئدة صافیة ملکوتیّة. لو أراد الله یقیم أحداً من احبّائه الواقفین علی مرکز الهدی بین ملأ الانشاء و یفسرّ بعونه و قوّته حقائق آیاته بمعان ما اطّلع به الّا الله و الراسخون فی علمه.

اذاً فاقبل الی ربّک بوجه ناضر و بصر ناظر و قل ای ربّ ثبّت قدمی علی أمرک و علّمنی من علمک المکنون و سرّک المخزون و عرّجنی الی ملکوتک الأعلی و رفیقک الأبهی و عرّفنی معانی آیاتک لأظهر عن أفق مشیّتک ککوکب الصبح بانوار علمک و معرفتک و اظهر للناس سبیلک القویم و صراطک المستقیم الّذی من سلک فیه لوصل الی مشرق الآثار و مطلع الانوار لانّ هذا ما یبیض وجهی عند مشاهدة آیاتک الکبری و ملاحظة آثار تجلّیاتک العلیا.

أی ربّ وفّقنی علی هذه الموهبة الکبری و الرحمة العظمی لانّ هذا أملی منک و مقصدی و رجائی یا مالکی و منائی فی کلّ أحوالی و فرح قلبی و سلوة فؤادی فی لیالی و أیّامی انّک أنت المعطی الباذل الرؤف الرحیم

و فی مقام الانفس تری لهذه الآیة الربّانیّة. معانی قدسیّة لاهوتیّة منها أراد الله بکلمة الروم جنود النفس و الهوی و شعوب الجهل و العمی بما ایّد عند ظهور حبیبه جنود العقل و النهی بشدید القوی حتّی رأی من آیات ربّه الکبری و سمع النداء الاحلی عن الافق الأعلی و شرب الرحیق المختوم من ید ساقی الوفاء و أخذه سکر خمر ذکر ربّه الأعلی. علی شأن استغرق فی بحور محبّة الله

اذاً فنی حقیقة النفس و الهوی مع الشؤون و القوی عند ظهور آثار الحقیقة المطلقة الالهیّة و غلبت و اضمحلت من سطوات آیات بارئها و لکن کانت مغلوبیّتها مبدأ لقدرتها و قوّتها و علوّها و عزّتها لانّها زکت و اطمئنّت فی ذکر ربّها و بذلک غلبت علی کلّ شیء و أحاطت بقدرة موجدها و مبدعها حقائق الملکوت علی ما هی علیها و أدرکت أسرار بارئها و مصوّرها.

فايّ غلبة أعظم من هذا لو كان الناس ببصر الحقّ ينظرون. و انّهم لو يطيرون بجناح الروح فى سماء العرفان ليشهدون بانّ هذا هو القدرة القاهرة و القوّة الباهرة و السطوة البالغة و السلطنة الغالبة و لكن لما تواروا خلف حجب الغفلة و نسوا ما ذكروا به ضرب الله على أعينهم غشاوة و على آذانهم وقراً

اذاً يا ايّها السائل الجليل قم بقوّة على ذكر ربّک بين ملأ الأرض و قل الى متى تقنعون بقطرة منتنة آسنة عن البحر الاعظم الأبهى الّذى تموّج لذاته بذاته و جعل الله برشح منه كلّ الوجود حيّاً باقياً كما قال و قوله الحقّ "و جعلنا من الماء كلّ شىء حيّ"

و فى مقام أراد الله بكلمة الروم النفوس الّتى استضائت وجوههم عند شروق شمس القدم عن مشرق اسمه الاعظم و صفت مرايا أفئدتهم و قابلت أشعّة نيّر الاكرم لانّ اسم الروم فى عرف اللغى وضعت لطائفة بيضاء و امّة حميراء و النفوس الصافية الّتى ناظرة الى ربّها بوجوه ناضرة مبيضّة مستبشرة فبهذا يحصل المشابهة و المناسبة

و أمّا المراد بقوله عزّ اسمه "غلبت الروم" أى غلبت فى عوالم الجسمانى تلک النفوس الزكيّة الّتى فنت عن صفاتها و حدودها عند ظهور مجلّيها حتّى اتّصفت بصفات رحمانيّة و ظهرت بآثار ملكوتيّة.

أرسل الله عليهم أرياح الامتحان و الافتتان و القاهم تحت مخالب المنكرين الّذين ما استنشقوا رائحة الحياء و تركوا النهى و تمسّكوا الهوى. و لكن لما كانوا غالبين من حيث الروح كذلک سيغلبون من حيث الجسد على أعدائهم بقدرة بارئهم لأنّ الله جعل كلّ الخير لأحبّائه فى كلّ عالم من العوالم حتّى فى عالم الجسم و الذكر.

اما تشهد بذكرهم ملئت الآفاق و باسمهم رفعت رايات الوفاق و بهم اشتعل العالم و استضائت الممكنات بنور الوجود من العدم و بهم انشقّت الاحجار و تفجّرت الانهار و تموّجت البحار و شرعت الشوارع و صفت الموارد و نزلت الموائد و رفعت الامراض و حيّت الاموات و زلزلت الأرض و انفطرت السماء و نسفت الجبال و أزلفت الجنان و اثمرت الاشجار و ظهرت الاسرار و هتكت الاستار و لاحت الانوار و شاعت الآثار

الآثار اذاً قل فسبحان الله موجد هذه الشهب الثاقبة و النجوم الساطعة و الكلمات التامّة و النفوس العالية و العقول المجرّدة و الارواح الهائمة فى الله ربّها و قل أى ربّ ادخلنى فى ظلّ شجرة رحمانيّتک و اغمسنى فى لجج عزّ فردانيّتک و قدّسنى عمّا سواک و خلّصنى من غمرات النفس و الهوى حتّى أقوم كما أقمتهم على خدمتک و أستقيم على أمرک بحولک و قوّتک انّک أنت المعطى لمن تشاء بيدک الخير و انّک لعلى كلّ شىء قدير.

و فی مقام أراد الله بهذه الکلمة الفرقانیّة شرائع الله و سننه و حدود الله و حکمه لانّ الناس فی ایّام الفترة ترکوا أوامر الله وراء ظهورهم و نسوا حکم الله نسیاً منسیاً بحیث وضعوا و أسّسوا أساس سیاسة جهلیة و قنّنوا أصولا و قوانین رسومیة و رفعوا أعلام أحکام ظلمیّة ظنّیّة بحیث ترکوا العلم و الهدی و تمسّکوا باذیال الوهم و الهوی هبطوا من سماء العقل و النهی و سکنوا فی درکات الضلالة و العمی اتّخذوا سبیل المفسدین و ظنّوا انّه صراط مستقیم، اعتکفوا علی أصنام مترفیهم و جهلوا مفسدیهم من مصلحیهم.

و بذلک خبت مصابیح العدل و الانصاف و اشتدّت قواصف الاعتساف، استولت آیة الظلم و محت آثار الانوار و ابتلی الناس بطوارق اللیل و جوارح النهار بما ترکوا أوامر الله و سننه و حرّفوا أحکام الله و حدوده و بذلک غلبت الشرائع المقدّسة الربّانیّة بین الناس

و لکن بقدرة الله و قوّته عند طلوع صبح الهدی من أفق البقاء فتقت سحاب الظنّ و الغوی و ارتقت سماء العلم و التّقی، لاحت آیة النور ومحت ظلمات الدیجور ظهر الصراط القویم و نصب القسطاس المستقیم، امتدّت العروة الوثقی الّتی لا انفصام لها و هبّت لواقح ربیع العدل و الحکمة من مهبّ عنایة الربّ القدیم و ألبست أشجار الهیاکل الانسانیّة بأوراق العلم و الحکم الربّانیّة. غرست الشجرة الطیّبة الّتی أصلها ثابت فی الأرض و فرعها فی السماء و تؤتی أکلها فی کلّ حین و امتدّت أغصانها و أفنانها فی الآفاق و أوت و وکرت علیها طیور الوفاق و غنّ علیها عندلیب الاریب بذکر الحبیب و رنّت فی أفنانها حمامة الودود بمزامیر آل داود علی شأن اهتزّت الارواح و انشرح الصدور و قرّت الاعین و طابت النفوس و صار الامکان حدیقة الرضوان

أما تری بأنّه ظهر بین أمّة متوحّشة ذلیلة و طائفة جاهلة ممقوتة بین کلّ الأمم و کان جهلهم علی درجة ما کانوا یمیّزون الیمین عن الیسار و یکتبون علی صفحات الماء و یأتون کلّ فاحشة و یعملون ما یتنفّر منه الحیوان فکیف الانسان ولکن لمّا ظهر بینهم الحبیب الاعظم و النور الاخم و آیة القدم و الصبح الابسم و أووا فی کهف تربیته ما مضی ایّام معدودة و سنین محدودة الّا و ترقّت هذه الطائفة الجاهلة من حضیض الجهل الی أوج العلم و الحکمة و برعت فی الفنون و المعارف و فرعت علی أعلام العلوم و العوارف و اشتهرت بین الخلائق بخصائص الانسانیّة و صفات الرحمانیّة حتّی صارت معدن الکمال و العرفان و محور دائرة المفاخر و الاحسان.

و بذا انتصرت علی الآفاق و تسلّطت علی کلّ القبائل و الشعوب من البرایا فصارت الناس یأتون من کلّ فجّ عمیق الی بلادهم حتّی یتعلّموا العلوم و الحکم و یتزیّنوا بحلل الفضل و الکمال و کلّ ذلک ما کان الّا بفضل الله و رحمته بما بعث فیهم خیر البریّة بقوّة عجزت عنها الخلائق أجمعون.

و فی مقام أراد الله بکلمة الروم الحقائق الممکنة المتجلّیّة بأسماء الله و صفاته المصطلیة من نار الأحدیّة الموقدة فی البقعة المبارکة فی بحبوحة الجنّة الظاهرة المشهودة علی أربعة أرکان قدمیّة المؤسّسة بزبر الالوهیّة و الربوبیّة القائمة بجوهر الفردانیّة. فیا لیت فتح الرحمن عن فم هذا الغلام ختام الحفظ و الکتمان حتّی أبیّن لک یا حبیب

مقامات نار الأحديّة و الشجرة المبارکة و أغصانها و أوراقها و شؤون بقعة الفردوس الّتی سترها الله عن أعین الکلّ الّا الّذین طاروا بجناح النجاح فی هواء یظهر فیه الافراح للأرواح و استنشقوا رائحة الوفاء عن قمیص البهاء، المرشوش بالدّم الحمراء بما فعل المشرکون بجماله المشرق المنیر بعد ما أخذ الله العهد منهم فی کلّ کتب و صحف و زبر عند اشراق کلّ نور من أنواره و طلوع کلّ نیّر فی آفاقه بأن یعترفوا بقدرته و سلطانه و یسجدوا له یوم یأتیهم فی ظلل من غمامه و یفدوا أنفسهم حین ظهوره فداء للقائه.

فوا حسرتا علیهم و أسفاً لهم بما فرّطوا فی جنب الله فسوف یأتیهم نبأ ما کانوا عنه غافلین اذاً اقشعرّت جلودهم و استدمت أکبادهم و ذابت قلوبهم و ناحت أرواحهم و تأوّه سرّهم وعضّوا أناملهم حسرة و ندامة علی ما فعلوا و حرّموا علی أنفسهم مائدة الحیاة النازلة من سماء رحمة ربّهم العزیز الغفور.

فلنرجع الی ذکر ما کنّا فیه من بیان کلمة الروم فقلنا بانّ المراد منها حقائق الاشیاء و ماهیاتها و سعة المکنات و قابلیاتها. و المراد من غلبت أی عمّت الفیوضات الرحمانیّة و التجلّیات الصمدانیّة حقائق الممکنة المستفیضة من النور القدیم و شملتهم و غلبت علیهم و احاطتهم من کلّ الجهات ظاهراً و باطناً الیوم الّذی أشرقت شمس القدم من شطر الآفاق. لانّ فی مثل ذلک الیوم المبارک الموعود لا ینظر الحقّ الی سعة الحقائق الموجودة و استعدادهم بل یفیض علیهم من بحور فضله و احسانه ولو لم یکن لهم سعة قطرة من انهاره بحیث تری یلبس الفقیر ثوب غنائه ویتردّی المسکین الذلیل رداء عزّه و علائه. کما قال و قوله الحقّ "و نرید أن نمنّ علی الّذین استضعفوا فی الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثین".

ان یا أیّها الطائر فی هواء محبّة الله و السائح فی بحار الفضل قم عن رقد الاوهام و افتح بصرک لتشهد بانّ جمال القدم کیف مشرق علیک و علی الممکنات من أفق الفضل و یلوح وجهه بین السماء و الأرض و تری شمول فضل مولاک و عمیم احسانه علی المقبلین و تبصر کیف یتموّج طمطام رأفته الکبری عن یمین ارادته و تهبّ روائح الرحمة العظمی من مهبّ عنایته لتعلم بانّ هذا یوم لو أراد الذباب ان یستنسر و القطرة ان یستبحر فی ظلّ هذا الجمال لیقدر بعون الله و قوّته کما قال و قوله الحقّ "لو أرادت نملة ان تتصرّف فی القرآن و باطنه و باطن باطنه فی حکم سواد عینها لتقدر لانّ سرّ الصمدانیّة قد تلجلج فی حقائق الممکنات" اذاً قل تبارک الّذی أظهر قدرته و سلطانه و رحمته و احسانه فی هذه الایّام علی الخلائق أجمعین

و أمّا قوله تعالی "و هم من بعد غلبهم سیغلبون" أی یأتی ایّام فیها تغرب شمس الأحدیّة فی مغرب البقاء و ترکد نسمات الروح عن شطر الوفاء و تخبو سراج المحبّة فی صدور ذوی الحجی و تخمد نار الشوق فی قلوب أولی النهی و تنقطع مائدة العرفان من سماء الایقان و یمنع سحاب القدس عن بذل الامطار و بحر الأحدیّة عن قذف درر الاسرار و ینتهی هذا النعیم الاوفر و الحظّ الاکبر و ینقلب هذا الیوم الانور باللیل الالیل.

فاذا وجدت الامكان على هذه الاحوال فاعلم و أيقن بأن قرب صباح الايقان و دنى طلوع فجر الرحمن من مشرق الامكان و مجى ربّک فى ظلل من الغمام اذا فارفع يديک مقبلا الى مولاک و قل

لک الحمد و الشكر يا ربّى الأبهى بما خلقتنى و بعثتنى فى اليوم الّذى لاح وجهک و ظهر جمالک و اشرقت طلعتک و سبقت رحمتک و سبغت نعمتک و أحاطت قدرتک و ظهرت آياتک و علت كلمتک و ثبت برهانک. فوعزّتک لو أثنى عليک بدوام سلطنتک لن أستطيع اداء كلمة من شكرک و لكن لمّا رأيت من عميم فضلک و عظيم جودک و احسانک تقبل القطرة من عبادک مقام البحر و تحسب الذرّة مقام الشمس لذا قدّمت بين يديک بضاعة شكرى الّتى لم تكن الّا كزنّة بعوضة فى الواد أو كدبيب نملة على الاصفاد و انّک أنت الغفور الرحيم.

و منها أراد الله بهذه الكلمة القرآنيّة مقام النظر و الاستدلال و اقامة الادلّة القاطعة و البراهين الناطقة على وحدانيّة الحقّ و فردانيّته و عزّته و قدرته و سلطانه كما شهدت و رأيت فى ايّام الّتى مضت قبل ظهور نيّر الاعظم عن مشرق اسمه المكرّم. بحيث ما كان لأحد سبيل اليه و لا دليل عليه الّا ما دلّت العقول و الانظار من ظهور آياته و بروز آثاره و كان الناس يستدلّون بها على وجوده و تنزّهه عمّا سواه.

و لكن لمّا طلعت شمس الآفاق عن مطلع القدم فى الهيكل المكرّم و استضاء الوجود بالاشعّة الساطعة على كلّ موجود خرقت حجبات النظر و الاستدلال و سقطت رايات الدلائل و الاشارات و رفعت أعلام المكاشفة و الشهود على اعلام القلوب و الابصار و فاز الاحرار بلقاء ربّهم يوم زلزلت الأرض و نسفت الجبال اذاً قل فتبارک الله الملک العزيز الجبّار الّذى أتى فى ظلل من الانوار بسلطان عظيم

غلبت الروم أى اضمحلت قطرات مياه النظر و الاستدلال عند تموّج ابحر المكاشفة و الشهود بعد الّذى كان برد لوعة الطالبين و رواء غلّتهم و شفاء علّتهم و انعدمت و اضمحلت كان لم تكن الّا أوهام و ظنون و قياس و تصوّرات لانّ مثل الادّلة عند ربّک كمثل الظلّ عند طلوع الشمس. و لو كان دليلاً عليها لم يكن لها وجود عند ظهورها و لا له بقاء تلقاء سطوع شعاعها. بل هو محجوب عنها و لو دلّ عليها

و عند الّذين شربوا سلسال الرحيق المختوم من يد عناية اسمه القيّوم أعظم حجبات العباد ان يعتمدوا على الظلّ الفانى لمعرفة شمس القدم أو يتّكئوا على الآثار و يستدلّوا به على وجود موجد الانوار. و مع ذلک يحسبون انّهم وصلوا الى مركز الهدى و ساروا فى افلاک النهى كلّا انّهم فى غمرات الظنون يخوضون و فى بيداء الاوهام يتيهون

اذاً قم بقدرة من الله و قوّة من سلطانه و خاطب الغافلين و قل الى متى تركضون فى برّيّة الجهل قد سطع برق المعانى فى سماء الروح و اشتعل الآفاق بنار الله الموقدة الّتى ظهرت عن سدرة سيناء فى طور البقاء. ألا يا معشر المشتاقين تقربوا اليها حتّى تصطلوا منها و تهتدوا بها و تتوقدّوا من جذواتها و تسمعوا زفيرها.

و قل قد قرّت عيون الاشياء بلقاء ربّها و أنتم لا تبصرون، قد انتبهت الممكنات و أنتم غافلون، قد قامت الموجودات و أنتم فی فراش الغفلة ترقدون، نطقت ألسن کلّ شیء بذکر ملیک الاسماء و أنتم تصمتون. ان لم تتوجّهوا الی ذلک الجمال فبأیّ جمال تنظرون و ان لم تنتبهوا من هذا النداء فبایّ نداء تنتبهون و ان لم تهتزّوا من هذا الروح فبایّ روح تتحرّکون.

هل تحسبون أنفسکم أحیاء کلّا انّکم من أصحاب القبور أتزعمون بأنّکم تبصرون أو تسمعون بل صمّ بکم عمی فلا تفقهون. هل الرحمة ما سبقت أم النعمة ما سبغت أو الحجّة ما کملت و البراهین ما ظهرت و الآیات ما نزلت و الکلمة ما تمّت و حمامات الفردوس ما غنّت و الجنّة ما أزلفت و الشجرة المبارکة ما أثمرت و بحور الاسرار ما تموّجت. بل وقعت الواقعة العظمی و ظهرت الطامّة الکبری و حشر کلّ شیء فی محضر الله المهیمن القیّوم ولو کان المشرکون فی سکرتهم یعمهون

و منها أراد الله بهذه الکلمة التامّة الشؤون الجسمانیّة و الحقائق الناسوتیّة و عوارضها و خصائصها فی عالمها و حیّزها و المراد من قوله عزّ شأنه "غلبت الروم" أی فنت الشؤون الجسمانیّة عند ظهور الآیات الروحانیّة و فاضت انهار الحقیقة علی أراضی الافئدة الصافیة عند استواء الرحمن علی العرش الاعظم بین الاکوان. لأنّ الجنود الروحانیّة تبطش و تصول علی الاحزاب یوم الایاب بقوّة ربّ الارباب لذا تغلب الجسمانیّات و یکون الحکم للروحانیّات و فی ذلک لآیات للمتبصّرین.

و منها أراد الله بهذه الکلمة المحکمة الثابتة مقام الظنون و الاوهام فی أفئدة العوام. لانّ فی ایّام أفول شمس العلم و الحکم تشهد الوهم و الظنّ هو السلطان الاعظم بین ملأ الاکوان. فتری انّما یعتمد الکلّ فی المسائل و المعارف علی الظنّ حتّی الشرائع و السنن فلا یقتدرون ان یسبحوا فی بحور العلم ویخوضوا فی طمطام الحکمة و لکن عند شروق شارق الیقین من أفق مبین تزهق أشعّة جمال المعلوم ظلمات الوهم و الظنون اذاً ینطق لسان الابداع بأن جاء الحقّ و زهق الباطل انّ الباطل کان زهوقا.

أن یا حبیب قل بلسان بدیع لک الفضل و المنّ و الرحمة و الاحسان علی هذا الرقیق الّذی لا یلیق بشیء فی ملکک بما نجّیتنی من تیه الظنون و آویتنی فی افنان سدرة العلوم بل أغنیتنی عن العلوم بما وفّقتنی علی معرفة جمالک المعلوم. أی ربّ ثبّتنی علی حبّک و أقمنی علی اظهار أمرک و اثبات حکمک و اجعلنی علماً علی اعلامک بین عبادک لاکون مهبط الهامک و مؤیّداً بآثارک انّک أنت المقتدر علی کلّ شیء بقدرتک و سلطانک یا محبوب العالمین

و منها أراد الله بهذه الکلمة الجامعة مقامات النفس و مراتبها و درجاتها و علوّها و اضمحلالها و صعودها و سقوطها من فضل بارئها و نعمة موجدها و بطش مبدعها فاعلم بانّ النفس لها مراتب شتّی و درجات لا تحصی. لکن کلّیّاتها فی مراتب الوجود معدودة و محدودة بنفس جمادیّة معدنیّة و نفس نامیة نباتیّة و نفس حیوانیّة حساسیة

و نفس ناسوتيّة انسانيّة و نفس امّارة و نفس لوّامة و نفس ملهمة و نفس مطمئنّة و نفس راضية و نفس مرضية و نفس كاملة و نفس ملكوتيّة و نفس جبروتيّة و نفس لاهوتبّة قدسيّة

فامّا النفس المعدنيّة عبارة عن مادّة جوهربّة فى المعادن و هى كمالها و صفاؤها و التأثيرات الظاهرة منها فانظر الى الاحجار الثمينة المعدنيّة كيف تنطبخ فى معدنها حتّى تصل الى كمالها و جمالها بظهور نفسها فيها و بروز جوهريّتها بها

و أما النفس النامية النباتيّة فهى عبارة عن الجوهر الّذى تقوم به القوّة النباتيّة الّتى بها تنبت و تنمو الحبوب و الاوراق و الاغصان و الاشجار بحيث تأخذ من الموادّ و الاسطقسّات و تعطى الاشجار و النباتات حتّى آناً فآناً تترقّى و تمتدّ أغصانها و تعطى ثمارها و أزهارها و أوراقها

و أمّا النفس الحيوانيّة هى عبارة عن الجوهر الّذى قائم به القوى الحسّاسة للمحسوسات الجسمانيّة

و أما النفس الانسانية عبارة عن النفس الناطقة أى الجوهر الذى به تقوم قوى الانسان و الحواس الظاهرة و الباطنة و الكمالات و المعارف الربانية و العلوم الالهية و الفنون الصمدانية و الحكم الغيبية و كذلک معرض لشؤون الشهوات الظلمانية و النقائص الناسوتية فسبحان الله من هذه الآية العجيبة و النقطة العظيمة و الكلمة الجامعة فى صحيفة الامكان بحيث ترى لها شؤونا مختلفة و مراتب متنوعة متضادة و درجات متعدده مما لا نهاية لها.

و لها استعداد أن تكون مرآة لظهور حقائق لاهوتية و مجْلى لبروز صفات كاملة ربّانيّة. و لها تنزّلات فى ظلمات كونيّة و احتجابات بحجب كثيفة ناشئة من حدودها و تعيّنها مانعة لوصولها الى مبدئها و مرجعها و ساترة عنها آيات موجدها المودعة فيها بفضل بارئها و لأجل ترقّياتها الى مراتب القرب و الوصال و تنزّلاتها فى مهالک البعد و الضلال تتقمّص فى كلّ مرتبة و مقام بثياب أخرى غير الأولى. لذا تعبّر فى كلّ مرتبة بعبارة .

مثلاً فى مقام تنزّلاتها فى أسفل مراتب الشهوات الحيوانيّة و اشتغالها بزخارف الدنيا الدنيّة و شغفها فى مشتهياتها الخبيثة الفانية و انجمادها من برودة الامكان و انخمادها عن حرارة حبّ ربّها العزيز الوهّاب و سقوطها و هبوطها فى ورطة الضلال و غلوّها و انهماكها فى المنكر و الطغيان فاعتبرت بنفس أمّارة كما قال و قوله الحقّ"انّ النفس لامّارة بالسوء الّا ما رحم ربّى"

ثمّ تترقّى من هذا المقام الهائل و الدرک السافل الى مقام يأتيها أحيانا نبأ خوضها فى ورطة المهالک و انغماسها فى لجج الغفلة و سلوكها فى تلک المسالک و انحجابها عن الله ربّها و غفلتها عن بارئها و حيرتها فى تيه الضلالة و الهوى و نسيانها ذكر الله الملک العزيز الأعلى.

تارة تمر عليها نسيم التبصّر فى أمرها و و تتيقّظ اقلّ من الشيء فتلوم ذاتها بما تراها خائضة فى غمرات الغفلة و الغى و تشتمها بما تشهدها هائمة فى بيداء المنكر و البغى. تتأسّف لدنوّها وسقوطها و هبوطها فى أسفل درجات الذلّ و الشهوات المهلكة و انحجابها خلف حجبات متراكمة الّتى تمنعها عن الصعود الى الدرجات العالية الروحانيّة و تشغلها عن ذكر الله بهذه الوساوس الباطلة االشيطانيّة. فلاسفها و ندمها فى هذا المقام و لومها ذاتها تعتبر بنفس لوامة كما قال جل اسمه "و لا أقسم بالنفس اللوّامة"

و لمّا ارتقت من هذا المقام الادنى الأذلّ الأوحش و صعدت الى مكمن الاعزّ الاقرب الاوفر و أيّدت بتأييد الله و ألهمت مضمون كتابها كما قال "اقرأ كتابک كفى بنفسک اليوم عليک حسيبا" و أتتها آيات الالهام و ظهرت لها حقيقة الليل من النهار و دعيت الى شاطئ بحر العرفان و رزقت بموائد القدس من جنّة الرضوان و جنت من أثمار شجرة الاحسان و سقيت من أنهر الفضل و الاكرام و تنعّمت بنعم البقاء و ذاقت حلاوة الآلاء و عرفت علوّها و دنوّها و صعودها و هبوطها و طلوعها و أفولها كما هو حقّه و تبصّرت فى أمرها و تيسر لها عسرها و صارت تميل من الفانيات الى الباقيات و تغمض النظر عن الموجودات و تقلبه الى ساحة العزيز الجبّار و ترتقب النداء من الملأ الأعلى و تلتفت الى الشؤون الّتى ترقّيها حتّى توصلها الى عرش الاطمئنان و كرسى الامتنان.
فتصير مهبطاً لموارد الالهام بين الانام و تجد من سعيها و مجاهدتها الفوائد الّتى توصلها الى مقصدها و مطلبها اذاً تعبّر بنفس ملهمة لانّها ألهمت بفجورها و تقواها كما قال تبارک و تعالى "و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها"

و فى مقام تنبّهها بذكر ربّها و تيقّظها بنداء بارئها عن رقد الاوهام و تذكّرها بذكر الله العزيز العلّام و صعودها و عروجها الى مقامات الحبّ و الاطمئنان و انغماسها فى طمطام الايقان و مشاهدتها آيات الله من مشارق الامكان و آفاق الاكوان و أنفس الرحمن و ظهور آية التوحيد من مطلع الجنان و دخولها و خلودها فى بحبوحة الجنان و فورانها من حرارة حبّ ربّه العزيز المنّان و سيرها و سلوكها الى الله المقتدر الملک الحنّان و جلوسها على عرش السكينة و الاستقرار و شربها من كأوس الاستقامة و الثبوت فى كلّ الاحيان تعتبر بنفس مطمئنّة

لانّها اطمئنّت فى الايمان و سكن اضطرابها و قلقها و رويت غلّتها و بردت لوعتها و رقّت و انكشفت حجباتها و تبدّلت بالنور ظلمتها و زالت بطالتها و كمل نقصانها و خرقت أستارها و هتكت أسبالها و ظهرت أسرارها و زلزلت أرضها و أخرجت أثقالها و حدثت أخبارها بانّ ربّک أوحى لها. فسبحان الله هاديها و ناجيها و منوّرها و مصوّرها عن كلّ ما يقول الجاهلون.

و اذا وصلت الى هذا المقام الاعزّ الاوفى و المورد الاعذب الاصفى الاحلى و شربت من هذا المنهل الارقّ من الصبا تفوز بمقام التسليم و الرضى و ترک الطلب و الاقتضاء و تفوض الامور الى الله الملک العزيز القيّوم و تتوكّل عليه و تتّكأ على وسادة فضله و احسانه و لا ترى فى هذا المقام ما يخالف رضاها و لا تختار الراحة الكبرى على المصيبة العظمى

بل انّها راضية بكلّ ما قضى الله لها فتراها فرحة مسرورة عند نزول البليّات و شاكرة ممنونة لدى تموّج أبحر المصيبات و الرزيّات ولو يأتيها من سحاب القضاء سهام الشدائد و البأساء و تنزل عليه أمطار البثّ و الضرّاء لتراها رطب اللسان بشكر ربّها المستعان و فصيح البيان فى ذكر الملک المنّان.

و هذا مقام لو فزت به لتصل الى سرور لا يتبعه الاحزان و فرح لا يتلوه الاكدار و فرج و سعة لا ينتهى الى الضنک و الشدّة و يسر لا يعاقبه عسر و محنة لانّ أزمّة الامور فى قبضة قدرة ربّک و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويّات بيمينه سبحانه و تعالى عمّا يشركون بحيث لا تتحرّک ورقة على شجرة و لا تسقط ثمرة الّا بارادة ربّک الرحمن الرحيم.

و السالک فى ذلک المقام الأعلى لا يبقى له ارادة و سكون و حركة و قدر و قضاء الّا بالله بل تفنى ذاته و صفاته و كينونته و أنيّته كلّها بسطوات آيات التوحيد كما تزول الاظلال عند روق شارق القديم فمتى فنت و اضمحلّت ارادته فى ارادة الحقّ فصارت ارادته عين ارادته و رضائه عين رضائه و ارتفع الحجاب و زال النقاب و اضمحلّ الشرک فى حقيقة الفؤاد ظهرت فى النفس آية الرضاء اذاً لرضائها بقضاء بارئها و تسليمها لامر خالقها اعتبرت بنفس راضية.

فبما أدركها سوابق الفضل و الرحمة و احاطتها الآلاء و النعمة و شملتها ثياب الجود و الاحسان و أقصها الله قميص الانقياد و الرضوان يخاطب من الملأ الأعلى طوبى لک بما قطعت السبيل و طويت الطريق حتّى وردت شريعة الوفاء و شربت زلال التسليم و الرضاء و تركت هواک و رضيت بقضاء مولاک و انفقت ما لک و عليک و فديت روحک و قلبک و فؤادک فى سبيل مولاک و هذا قرّة عينک

و بذلک تنال الى المقام الأعلى و الرفيق الأبهى و تصير مرضيّة مقبولة عند الله ربّک و مستظلّا فى ظلّ فضل مولاک مستبشرة مسرورة مهتزّة بمنّه و احسانه انّ فضله بعباده المخلصين عظيم فلأجل صعودها بوسائط الرضا الى المعارج المرضيّة عند الله ربّها و مقبوليّتها فى فناء موجدها اعتبرت بنفس مرضيّة

و لمّا طارت بأجنحة القدس فى فضاء هذا الفردوس و ذاقت حلاوة مقامات الانس فى حديقة الافريدوس و اجتمع فيها هذه المقامات العلّية النورانيّة و تصاعدت الى هذه المراتب الرفيعة الروحانيّة و تفجرّت من شواهق حقيقتها ينابيع حكم الصمدانيّة و صارت مهبطاً لموارد الالهام و مطلعاً لسطوع أنوار هذا الاشراق و اطمأنّت بذكر الله المهيمن المنّان و صارت راضية بقضائه و مرضيّة فى فناء بابه لذا عبرّت بنفس كاملة لاتّصافها بهذه الكمالات الروحيّة الرحمانيّة و اشتمالها لهذه الصفات الجوهريّة الربّانيّة

اذاً استحقّت و استعدّت للدخول فى حديقة ملكوت الله الّتى كانت جنّة الابرار و مأوى الاحرار الّذين استنارت

وجوههم ببشارات الله و ظهرت فيها نضرة الرحمن و آية المنّان و الى هذه المقامات أشار بقوله عزّ كبريائه "يا أيّتها النفس المطمئنّة ارجعى الى ربّک راضية مرضيّة فادخلى فى عبادى و ادخلى جنّتى"

لانّ جنّة المأوى و حديقة الكبريا و الروضة العليا و الفردوس الأعلى هى رياض ملكوت الله الّتى فتحت اليوم أبوابها و انبسطت أرضها و أشرقت أنوارها و أثمرّت أشجارها و تفتحت أزهارها و جرت أنهارها و تموّجت بحارها و تفجّرت ينابيعها و رقّ نسيمها و دقّ أديمها و غنّت ورقائها و تبسّمت ثغورها و تبلّج سحورها و سطع بروقها و أنار شروقها و سجعت طيورها و تزيّنت قصورها و آن حبورها اذاً قم بقوّة من الله و قل باعلى النداء فاسرعوا يا ايّها المشتاقون الى مطلع هذا النيّر الساطع اللامع القديم و أقصدوا هذا الملاذ الشامخ المنيع.

و النفس اذا دخلت هذه الجنّة العالية و الحديقة الباقية و استهدت الى فجر هذا اليوم الانور و وردت هذا المورد الاعذب الاصفى الاطهر و اكتسبت الكمالات و اقتبست أنوار جواهر الاسماء و الصفات و شربت من هذه الكأس الّتى كانت مزاجها كافورا و ساحت خلال هذه الديار و خاضت عمق هذه البحار و اهتدت الى هذه النار الموقدة المشتعلة فى فاران الحبّ تثبت فى حقّها كلمة التوحيد و تستقرّ فى ذاتها آية التجريد و تفوز بحياة أبديّة و عيشة سرمديّة و تتلذّذ من النعماء الّتى لم تر عين مثلها و ما سمعت اذن شبهها و تشرب من الينابيع الصافية الّتى تجرى عن يمين عرش الحقيقة و تذوق من اثمار الشجرة المنبتة فى بحبوحة الفردوس المهتزّة من نفحات الّتى تأتى من شطر الجمال و يحيى بها قلوب الموحّدين و تهتزّ منها أوراق أفنان أفئدة المخلصين و تفوز و تصل الى مركز البقاء فى ظلّ وجه ربّها الأعلى بحيث لا تواريها شائبة الفناء و لا يطرق عليها طوارق الانعدام و الاضمحلال كما قال و قوله الحقّ "كلّ من عليها فان و يبقى وجه ربّک ذو الجلال و الاكرام"

و النفس اذا نشرت أجنحة الروح و انجذبت من جذبات الله و طارت الى الافق الأعلى و قصدت رفيق الأبهى ترتقى الى مقام الجبروتيّة الرحمانيّة و تؤيّد بالقوّة القاهرة و القدرة الباهرة و السرّ المنمنم القديم و الرمز المكرّم العظيم و تطّلع على خفيات الحقائق المكنونة المستورة الغيبيّة الّتى احترقت فى حسرتها قلوب العارفين و تنطبع من الاشعّة الساطعة من شمس الحقّ و آثارها و تحكى عن ظهورها و أنوارها فى كلّ الشؤون و الاطوار و تتعارج الى مقام جعله الله منزّهاً عن ادراک المدركين

لانّ هذا المقام خلق من أركان القدرة و القوّة و العزّة و السطوة و السلطنة و الاقتدار و الهيمنة و الاستقلال لا يشوبه شيء من الحدود و الكثرات بل هو جوهر التوحيد و ساذج التفريد و التجريد و نور الانوار و سرّ الاسرار و سدرة المنتهى و الدرجة العليا و المركز الأعلى و المسجد الاقصى و غاية القصوى فى عالم الخلق ولو انّ الكمالات لا بداية لها و لا نهاية و لن تحدّ بحدّ فهنيئا لمن دخل هذا المقرّ المقدّس المكرّم العظيم.

فامّا النفس الالهيّة هى عبارة عن الحقيقة الكلّيّة الجامعة للحقائق اللاهوتيّة الربّانيّة و الدقائق الصمدانيّة الظاهرة بالنور القديم و الباطنة بالسرّ الاعظم العظيم النقطة الأحديّة الّتى منها ظهرت الاشياء و اليها أعيدت و منها بدئت و اليها رجعت.

فكانت أحديّة الذات و واحديّة الصفات ثمّ تكثّرت بالظهور و الآثار و تشعّبت و تفصّلت و تفنّنت و تلألأت فامتلأت و تنورّت منها الانفس و الآفاق فى يوم الميثاق و اهتزّت بها هياكل التوحيد و تحرّكت و نشئت منها أفنان سدرة التفريد و تقمّصت بالطراز الأوّل و النور الاكمل و ظهرت من آية منها كلّ الاسماء المدركة للحقائق الانسانيّة و نشئت من سمة منها كلّ الصفات الحقيقية الغيبيّة.

فهى مركز دائرة الوجود بظهور لا اله الّا الله و قطب فلک البقاء الّذى يدور عليه كوكب التفريد و التوحيد بحيث يدور كلّ الحقائق الغيبيّة حول هذه النقطة الأحديّة اللاهوتيّة و تقتبس كلّ الكينونات اللطيفة النورانيّة من هذه النار المشتعلة الملتهبة الناطقة فى سدرة الانسانيّة بانّه لا اله الّا هو العزيز المقتدر القيّوم

و هذه النفس عبارة عن حقيقة الهياكل المقدّسة و الاعراش الحقيقيّة لا تقدر ان تجول فوارس عقول البشرية فى هذا المضمار و لا تطرق طيور ادراكات البريّة هذه الديار انّما للمخلصين منهم الحظّ الاوفر من أشعّة هذا النور الانور عند مسارعتهم و وفودهم الى فناء باب مليک مقتدر.

تبّا و سحقاً لقوم يظنّون انّهم ادركوا علاهم مع انّهم لم يحوموا حول حماهم كيف يقتدر ذباب الفناء ان يزاحم عنقاء مشرق البقاء و انّى للقطرة المنتنة الملح الاجاج ان تقتحم بحر العذب الصافى الموّاج. كلّما يتعارج المتعارجون الى أعلى مقامات العرفان أو يتصاعد الموحّدون الى اسمى مشاعر مراتب الايقان انّما يقرءون أحرف كتاب انفسهم و يصلون الى الآية المتجلّية المودعة المندمجة المكنونة فى حقائق كينوناتهم و يدورون حول مراكز دوائر ذاتيّاتهم.

و أمّا مراتب الّتى فوق عوالمهم و مداركهم لن يقتدروا ان يستنبؤا منها و لا يستطيعوا ان يدركوها. فانظر بعين الحقيقة الى المكوّنات الخارجيّة تشهد كلّ مادون لن يقدر ان يدرک ما فوقه ولو يترقّى فى مقامه الى أعلى ذروة الايجاد كما تشهد انّ الجماد كلّما يرتقى و يتعارج الى سموّ الكمال لن يقتدر أن يعرف و يدرک مقام النبات و كذلک كلّ ما يزداد النبات بهجة و نموّاً لا يستطيع ان يطّلع على حقيقة الحيوان و بمثل ذلک الحيوان كلّما يستكثر الحسن و الزهو و الاعتدال لن يتمكّن له معرفة هويّة الانسان و حقائقه و شؤونه و صفاته

اذاً فاعلم بانّ النفوس على اختلا ف مراتبهم و شئونهم و درجاتهم يجرى عليهم هذا الحكم بحيث لن يستطيع أحد ان يتجاوز حدّه و شأنه و لا الطير يقتدر ان يطير فوق منتهى أوج طيرانه. فاذا كان الحال على هذا المنوال بين

الاشياء المكوّنة الممكنة الخارجة الّتى تشتمل على المناسبات و المشابهات فكيف اذاً بين مقامات الامكان و مقامات الحقائق اللاهوتيّة الّتى ذهلت العقول عن ادراكها و تحيّرت النفوس فى عرفانها و عجزت الالسن عن بيانها و كلّت أجنحة طيور القلوب و الافكار عن الطيران فى سماء تبيانها

فلنرجع الى ما كنّا فيه من مقامات النفس و مراتبها و شؤونها و علوّها و دنوّها و سموّها فقلنا هذه الآية الكبرى فى مقام تدلّ على النفس و مراتبها و تقلّبها من مرتبة الى مرتبة و من مقام الى مقام لانّها فى كلّ مرتبة تترک حدودها و شئونها

و تغلب من سطوات آيات مرتبة الّتى فوقها و تضمحلّ من صدمات شؤون الّتى تزكيها و تلطّفها و تطهّرها و تنزّهها عمّا لا يليق بها فى سبيل بارئها

و اذا خلصت و نجت من كلّ مرتبة دانية و صعدت باعانة موجدها و مصوّرها الى مرتبة عالية تنتصر على قوى المراتب السافلة و تغلب جنود حقائق الشؤون الدانية اذاً فاعرف ما قال جلّ ذكره"غلبت الروم"

أى غلبت و اضمحلّت و فنت نفس الامّارة بالسوء من الصواعق النازلة عليها من عوالم الملک و الملكوت و الشهب الثاقبة الواردة عليها من مكامن العزّ و الجبروت اذا ايّدت بجنود النصر و الهدى و نصرت بملائكة الروح و التقى و انتبهت من نومها و غفلتها و انتهت من خوضها و هبوطها و سقوطها و شهدت نزولها و دنوّها ثمّ تذكّرت فى أمرها و دقّت بصرها و صفت نظرها حتّى عرفت ما هى عليها و الّذى حجبها و منعها و صار سببا لبعدها و نكرها و غفلتها و سكرها. اذاً تمسّكت باذيال الفضل و الرحمة و ابتهلت الى الله و لاذت بحضرته حتّى صعدت و نجت من ذلک المقام و المرتبة و دخلت المقام الأعلى و كذلک تتقلّب فى المقامات و المراتب و تغلب و تغلب حتّى تعود الى مبدئها و ترجع الى مركزها و تتردّى برداء كمالها و تدخل فى ظلّ ربّها مقعد صدق عند مليک مقتدر.

ان يا ايّها المشتعل الملتهب من نار محبّة الله فاعلم بأنّ هذا العبد لو يريد ان يفسّر هذه الآية اللاهوتيّة بكلّ المقامات الغيبيّة و الحقائق الالهيّة و المراتب الجبروتيّة و الملكوتيّة و الحقائق الكونيّة و العوالم الغيبيّة و الشهوديّة و الظهورات الأحديّة و الشّئونات الواحديّة و الكينونات الروحيّة و الاركان القلبيّة و المشاعر الحقيقيّة و النفسيّة و توابعها و لواحقها بأتمّ بيان و أكمل تبيان لأقدر بعون الله و قوّته و فضله و تأييده

ولكنّ النفوس لن يقتدروا و لن يستطيعوا ان يسمعوها و يدركوها لذا أمسكنا القلم عن البيان و الجريان و اعطيتک مفاتيح التبيان فافتح بقوّة مولاک كلّ الابواب المسدودة على الوجوه لتطّلع على اسرار الله الغيبيّة المستورة

المكنونة المخفيّة و تشهد و تجتلى مواقع السرّ المستسرّ المصون و تسيح و تسير فى هذا الملكوت الواسع العظيم و تخوض فى هذا البحر الزاخر الموّاج و هذا الطمطام العظيم الثجّاج و تلتقط من درارى النور بفضل مالک الظهور.

فو ربّ غفور و جمال مشكور مشهور لو أحد من المخلصين يتوجّه الى الله فى هذا اليوم الاكبر و ينظر بالبصر الاطهر ليعرف كلّ الحقائق و المعانى من كلّ كلمة من آيات الله المهيمن القيّوم بل فى كلّ حرف و فى كلّ نقطة لانّ الحقائق و المعانى بتمامها سارية جارية فى باطنها و تتفجر منها أنهارها و تتموّج فيها بحورها فهنيئا للواصلين.

و هذه المعانى الّتى أوردناها تظهر و تنجلى من هذه الآية المباركة اذا قرئنا "غلبت الروم" أى بصيغة المجهول و لكن اذا قرأناها بصيغة المعلوم يظهر منها معان اخر لا يسعنا اليوم بيانها و اظهارها و كشف رموزها و اسرارها و تركناها لوقت معلوم و على الله نتوكلّ فى كلّ الامور و بحبل رحمته و فضله نتوسّل انّه معطى السائلين و مغنى المفتقرين.